الخافض الرافع

الاسم هو الخافض الرافع .

الخفض في اللغة ضد الرفع ، والخفض : الانكسار واللِّين ، قال تعالى :

﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾

[الإسراء : ٢٤]

والانخفاض : الانحطاط ، وتوصف به الواقعة ، قال تعالى :

﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴾ [الواقعة : ١ـ٣] .

الناس يتمايزون بمقاييس أرضية ، مقاييس المال ، القوة ، والذكاء ، وتحصيل العلم ، والوجاهة ، وغيرها من الأمور ، فإذا وقعت الواقعة ، تبدَّلت هذه المقاييس ، وتحكّمت في الخلق مقاييس رب العالمين ، يُقاس الإنسان بعد الموت بقدر إستقامته وطاعته لله عز وجل ، وإحسانه للخلق . فلذلك تنقلب المقاييس فجأةً ، فالذي كان في القمم ربما صار في الحضيض ، والذي كان في الحضيض ربما صار في القمم .

الخفض من صفات الواقعة ، والواقعة اسم من أسماء يوم القيامة .

أي أن الواقعة تخفض أقواماً بِمعاصيهم فَيَصيرون إلى النار ، وترفع أقواماً بطاعاتهم فيدخلون الجنة .

ومادة الخفض وردت في القرآن في سورة الحجر ، قال تعالى :

﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر : ٨٨] .

ووردت في سورة الشعراء قال تعالى :

﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٥] .

هذا الفرق بين الآيتين هل يفيد معنى ثالثاً ؟ واخفض جناحك لِمن اتبعك من المؤمنين وقوله : واخفض جناحك للمؤمنين ؛ فالإنسان يميل إلى جماعته وإلى أتباعه ؛ فإذا مال إليهم ، وتعصَّب لهم ، وأنكر من سِواهم ، وانحاز اِنحيازاً أعمى إلى من يلوذ به ، فهذه نقيصة في الإنسان . فالله سبحانه وتعالى أمر نبيَّه ﷺ أن يخفض جناحه تارةً لِمن اِتبعه ، وتارةً لكل المؤمنين . أما نحن فما علاقتنا بِهاتين الآيتين ؟ عليك أن تحب إخوانك في المسجد ، وإذا كنت مؤمناً حقاً فيجب أن تحب كل مؤمن في الأرض ، من أيّة جهة كان ، وهذا هو الإيمان وهو الذي يليق بالمؤمن .

إذاً مادة الخفض وردت في قوله تعالى : ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ووردت في سورة الإسراء : ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ ووردت ـ كما سبق وذكرت ـ في سورة الشعراء قال تعالى : ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

ابن الأثير يرى : أن الخافض هو الذي يخفض الجبّارين والفراعنة أيْ : يضعهم ويهينهم ، ويخفض ما يستحق أن يخفضه ـ وها نحن قد دخلنا في موضوع جديد ـ الإنسان له كيان مادي له جسم ، وله كيان

معنوي ، الكيان المعنوي يرتفع وينخفض . فَمَثلاً إذا نجح الإنسان ، ونال شهادةً عُليا ، يرتفع مقامه بين الناس . وإذا رسَب ، انخفض . وإذا نجح في عمله ، يرتفع . وإذا أخفق ، انخفض . وإذا نجح في زواجه ، ارتفع . وإذا أخفق ، انخفض ، وإذا ظهر صدقه للناس ، يعْتَز بِأخلاقه ، فإذا ظهر كذبه ، ينكمش . وإذا كُشِفت أسراره البيتية ولم تكن على ما يُرام ، انخفض . فالإنسان بين أن يرتفع وبين أن ينخفِض . لكن صدِّقوا أن الإنسان حينما يرتَفِع بالحق يدخل على قلبه من السرور ما لا يوصف . النجاح مُسعِد في كل شيء . وحينما ينخَفِض ويُكشَف كذبهُ ، ويُفْتَضَح في بيته ، وتظهر عدم كفاءته ، أو حينما يسيء الاختيار ، وينال عِقاباً نظير عمله السَّيىء ويصبح ذكرى سيّئة بين الناس ، ينكمش وينخفِض . وقد يأتي على هذا الإنسان من الآلام ما لا يوصف لذلك فالإنسان أكثر ما يعيش بِسُمْعَتِه . بل إن العرب حينما ذكروا العِرض ، عرَّفوه بأنه مَوْضِع المدح والذم في الإنسان . قد تكون فقيراً لكنك تقيٌّ مرفوع الرأس . قد يكون مريضاً ولكن نظيف الكَفَّين ، لا انحراف بِحياته وسلوكه ، ولا دَجَل ولا تطاول ، ولا يخاف لا لأنه من جِنسٍ آخر وإنما هو من البشر لكن لا يخاف لأنه مستقيم ، وما خالف شرع الله في عمل ، ولا خالف القانون ، لذلك أحدُ أسباب العِزة الإحسان في القول والعمل ، وقال تعالى :

﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [يونس : ٢٦] .

إذا أنت أتقنت عَمَلَك ، وأدَّيْت وظيفتك على خير وجهٍ ، تشعرُ بِعزة الإنجاز وعزة الإتقان والتفوُّق . أما إذا أدَّيت عملك بغير إتقان ،

وكان عملك سيِّئاً ومرتجلاً ، وذا عيوبٍ كثيرة ، وإكتُشِفت الأخطاء عاتبك الناس ، كَمَثَل الذي وَصَف دواءً لِطِفلٍ صغير أوْدى بحياته ، ولما وُوجِه هذا الذي وصف الدواء صار صغيراً ومنكمِشاً ، ويتمنى أن تنشقَّ الأرض وتَبْتلعَه كما يقول العوام فالإنسان يَعْتز حينما يُتقِن عمله ، ويُؤدي واجباته ، ولكنه حينما يكون واضحاً ، وتكون سريرَته كَعَلانيَتِه ، وخلْوتُه كَجَلْوَتِه ، وحياته الخارجية كَحَياته الداخلية ، وأسراره كَحَياتِه المُعْلَنة يسمو ويعلو ، فالوُضوح يرفع الإنسان . وتشعُر هذا من الواقع حيث يجد الإنسان في بعض الأحيان انقباضاً من جراء عَمَلٍ منْحط أو كلام بذيء ، فلما انكشف الغطاء وجد نفسه في انكماش وصغار وما من إنسان إلا ويتمنى أن يرتَفِع ؛ ولا أقصد أن يرفع كبراً وتطاوُلاً وإنما بإتقان العمَل وحُسن السيرة يصير عزيزاً ، فالصّدق والأمانة يجعلانك عزيزاً ، وأحياناً تتعرّض لِتَفْتيش مفاجيء في مَحَلِّك ومعملك ، فإذا كانت المواد الأولية كلها صحيحة وبمواصفات جيدة والأمور في بيان ووُضوح ، وبعيدة عن الغشّ والفساد فَتَشعُر بِعِزة ونشْوَة ، فكل إنسان يطمع في أن يحقّق اسمه .

نحن المسلمين ، لو أننا أيقَنا أن رِفْعتنا بطاعة الله ، وبإستقامتنا . وإنضباطنا لاستقمنا في حياتنا ، إنسان يحْتل منصِباً اجتماعيًا رفيعاً لكنه جَلَب أبقاراً مصابة بمرض عضال وسَبَّب حالات مرضية شديدة فلما كشف أمره سيق للسجن مُكَبَّل اليدين وأُدخل قصر العَدْل لِينال جزاءه العادل ، فهذه المكانة التي كانت لهذا الشخص انهدرتْ ، لذلك فالذل لا يُحتَمل وكذا الإهانة والانكماش ، وعاقبتهما ضياع .

أعجب من هذا الذي يأكل مالاً حراماً ، ويَغُشُّ المسلمين في غِذائهم ، وهذا الذي يستَوْرِد لُحوماً للكلاب ويَبيعَها للبشر ، وهذا

الذي يضع أصبغة البلاط في سكاكر الأطفال ، وفي المواد الغذائية فَما جزاء هذا الذي يُكْشَف اختِلاسُه ؟ سيُصيبه صغار وذلّة وهوان .

شعور الإنسان بالاستقامة والرِّفعة والنظافة والخلْفِيات الواضحة هذا شعور لا يوصَف ؛ وهو شعورٌ يَرْقى بالإنسان عالياً وما منا واحد إلا ويتمنى أن يكون أمام الناس نظيفاً ومزهوًّا ، ورافِع الهامة . فالخافض في أسماء الله كما يقول ابن الأثير : « **هو الذي يضع الجبارين والطغاة ويُهِينُهم** » ، وسُبحان من قهر عِباده بِالموت . الله عزّ وجل يخفِض الجبابرة ، وكقاعدة عامة أقول : الإنسان إذا كان صُعوده سريعاً وحاداً فسَيَكون انخِفاضه مُريعاً ، والإنسان إذا تكبَّر بِغير الحق وصعد صعوداً حاداً ومُفاجِئاً ، فالله جل جلاله يجعله عِبرة لكل منِ اعتبر ، ويَخْفِضه ويذِله ويهينه ؛ هناك عذاب شديد ، وهناك عذاب مُهين . بِرَبِّكم هل يتمنى مسلم أن يتردّى في الفضيحة والذُلّ والإهانة ؟ أقول هذه الحقيقة وأتمنى أن تكون واضحة لكل ذي لب ، فأيّة خِيانة على الإطلاق ، منذ خلق الله آدم وإلى يوم القِيامة ، لابُدَّ من أن تُفْتَضح والدليل :

﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [يوسف : ٥٢] .

والخائن حينما يُفْتَضح ، لا يُفْتَضح بِذكاء البشَر بل بِتَقْدير خالق البشر . فإذا أيْقن الإنسان بأن الله لن يسمح لإنسان أن يغُشَّ الناس إلى أمدٍ طويل ، ولا أن يغُشَّ مجموع الناس إلى أمَدٍ قصير ، عِنْدئذٍ يستقيم على أمر الله ؛ لأن الفضيحة ، والانكشاف تجعلانه قالة سوء ، هذا شيء لا يُطيقه حر كريم ؛ لكن كيف عِلاجُه ؟ لا تفعل شيئاً تستحي منه ، ولا تفعل شيئاً تضطر إلى أن تعتذِر منه ، قبل أن تفعل

شيئاً ، فكِّر جيِّداً ، وتأمَّل مليّاً ، وعُدَّ للآلاف قبل أن تأخذ ما ليس لك ، وقبل أن تدخل إلى هذا البيت ، وليس في البيت إلا امرأة ؛ سل نفسك لعلك تُسأل لماذا دخلْت البيت ؟ وأنت تعلم أن الزوج غير موجود ؟

فالإنسان حينما يتسرَّع ويتحرَّك عشوائيًّا بلا نور ، وبلا منهج ، وبلا أحكام شرعيَّة ، يقع في شرِّ عمَلِه ، يتردى وينخَفِض هواناً والله هو الذي يخفضه ؛ والله من أسمائه الخافض فأحياناً يكون الإنسان بأعلى درجة ؛ ثم ينهار ما تحت قدميه ويهوي ، أحد علماء المسلمين في أمريكا تناظر مع أحد أكبر القساوِسة . وهذا الرجل الخصم بعد حين ، كُشِف يمارس علاقة جنسية شائنة فَصار يبكي على شاشة التلفزيون ، فالإنسان حينما تُكتَشف عثراته وسقطاته ، ينكمش ويتردى والحق أنّ الله خفضه . على كل حال هذا من الفطرة الإنسانيّة . مثَلاً لو فُقِد قَلَم غالي الثمن بالصَّفِّ ، فَمَنَع المُدرِّس خروج الطلاب ، وفَتَّش الطلاب واحداً واحداً ؛ فإذا القلَم عند أحدهم ، فَقَبل أن يُعاقبه ، وقبل أن يضربه ، وقبل أن يستَدعي والده ، وقبل أن يفصِله لمدة ستة أيام ، ماذا يشعر هذا الطفل ؟ يشعر بِألم وخِزي ، فَشُعور الخِزي والعار لا يُحتَمل فلْتستقم ، ولتعملْ عملاً لا تستحي منه .

مرةً سألوا ألف زوج ؛ لماذا لا تخون زوجتك ؟ فجاءت الإجابات كثيرة جداً ومتنوِّعة . صُنِّفت هذه الإجابات في زمرٍ أخلاقية ، وكان إجابة أخفض صِنْفٍ : لا أستطيع لأنها تخونه بالمثل وإجابة الذي أعلى منه : لا أحتمل الإحساس بالخِيانة ، الإحساس بالخِيانة ضاغِط ، والأرقى قال : لا أحب الخِيانة ، وصنْف أجاب بأنه يحبها ولكن لا يحتمل وخز الضمير ، الأول يخشى خيانة زوجته إن خانها ،

والأخير يخشى وخز الضمير ، وليس بينهم من قال تمنعه الخشية من الله تعالى ، فعندما يتحرك الإنسان حركة واضحة ونظيفة ، يشعر بِراحة ، وهذه الراحة لا تُقَدَّر بِثَمنٍ . قد تجد شخصاً يرتدي أغلى الأثواب ، ويركب أجمل المَرْكبات ، ويسكن في أفْسَح القصور والبيوت ، ومع ذلك فهو من داخله مُنهار ؛ لأن نفسه تُحاسِبه حِساباً عسيراً . يعاني الانقِباض ، والكآبة ، والشعور بالذنب ومُرَكَّب النقص وهذا كله من الأعمال الخسيسة والدنيئة التي لا تُرضي الله . ففطرة الإنسان مُولَّفة ـ بالتعبير الفني ـ مع الإيمان فإن حادَ عن الإيمان وعن منهج الله عذَّبتْه فطرته ، مثَلاً : مرْكبة حديثة جداً مُصنَّعة لتسير على الشوارع المعبدة ، لو ركِبتها في الطريق الوَعْر ، وفي طرق جبلية فيها وهدات ومنعرجات وذات أتربة ورمال ، تشعر بِتَعَبٍ شديد وانزعاج وبِقَلَقٍ ، وتشعر أن هذه المركبة ليست لهذا الطريق . ونفسك البشرية مخلوقة لمنهج الله ، ومخلوقة لتكون على مستوى الشرع ؛ فإذا حِدت عن الشرع ، تعثَّرت نفسك وشعرت بالكآبة والضيق وما إلى ذلك .

وقيل : الخافض الذي يخفض بالإذلال من تعاظم وتكبَّر ، ضربت مثلاً فقلت : ليتر من اللبن يحتمل خمسة أكيال ماء ويصبح شراباً لذيذاً ويُهَدِّىء النفس ويشعر الإنسان بِراحة بعد شربه ، ليتر لبَن يتحمل خمسة أكيال ماء ، ولا يتحمل نقطة نفْط واحدة أبداً فهذه القطرة الواحدة تُفسِده أما خمسة أكيال من الماء فتُطَيِّبُه ، كذلك الإيمان : فذرَّة كِبْر واحدة تتناقض مع العبودية ، ومن صفات المؤمنين الأساسية التواضع لله ، ترى المؤمن عزيزاً إلى أقصى درجة ورافع الرأس إلى العلاء ؛ ولكنه أمام الله ذليل ، ويُبالِغ في التذلل أمام عَتَبَة ربه ، ويُبالغ في رفع رأسه شامِخاً أمام أعداء الله ، لذلك

وصَف الله المؤمنين في كتابه بقوله :

﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة : ٥٤] .

بِقَدْر ما هو متواضع ومتذلل بينه وبين الله ، يكون بينه وبين الخلق عزيز النفس .

الخافض : الذي يخفض بالإذلال من تَعاظَم وتكبَّر ، وشمخ بِأنفِه وتجَبَّر ، يخفضُ أقواماً ولايخفض إلا أهل الباطل :

﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء : ٨١] .

لو أننا تتبعنا تاريخ النظريات الوضعية التي ابتُدِعت خِلاف منهج الله ، فهل نجد نظرية بقِيَت شامخة إلى ما لا نهاية ؟ وهل هناك نظرية إلا ونزلت في الوَحْل وسقطت ؟ ولاكَتْها الأفواه وتناولتها الألسن ؟ وخاضت فيها الأقلام ؟ والأدلة أمامنا كثيرة ، والتاريخ الذي بين أيدينا يصدّق ذلك ، فسبعون عاماً في اِعتزاز بالباطل ، واِعتزاز بالإلحاد ، ثم أصبح هذا الإلحاد خُرافَةً ، وأصبح المجتمع المُلحِد في مؤخرة الشعوب على الإطلاق : ﴿ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ فالله عز وجل من أسمائه الخافض ، فهو الذي يخفض بالإذلال من تعاظم وتكبَّر ، وشمخ بِأنفِه وتجَبَّر ، العَرَب في الأندلس أسَّسوا أكبر حضارة بالعالم ؛ فلما التفتوا إلى القِيان وشرِبوا الخمور ، واستمعوا إلى المعازف ، ومالوا إلى اللهو والتَّرَف ، أُخرجوا من هذه البلاد وكان آخر ملوكهم أبو عبد الله الصغير يبكي ، وهو يخرج من قصرِه في غَرْناطة (قصر الحمراء) قالت له أمه عائشة :

ابكِ مثلَ النساء مُلكاً مُضاعاً لم تُحافظ عليه مثل الرجال

فالله يخفض العصاة المتكبرين والمتجبرين .

وقيل : الخافض الواضع لِمن عصاه ، والمُذِل لِمن غضِب عليه ، ومُسْقِط الدرجات لِمن يستَحِق ذلك . يَخْفِض الكفار بالإشقاء ، ويخفض أعداءه بالإبعاد ، عدوٌّ يخفِض ، ومتجبر يخفض وطاغِيَة يخفض ومستعلٍ يخفض ، قالوا : أنا ، ونَحن ، ولِي ، وعِندي ، أربع كلمات مهلِكات ، قال تعالى عن إبليس :

﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [ص : ٧٦] .

فأهلكه الله .

﴿ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾[النمل : ٣٣] .

قالها قوم بَلْقيس فأذلهم الله عز وجل .

﴿ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ ﴾ [الزخرف : ٥١] .

قالها فِرعون فَغَرِق .

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ [القصص : ٧٨] .

قالها قارون فَدَمَّره الله عز وجل ، وخسف به الأرض ؛ فالله خافض يخفض أعداءه ، ويخفض المتجبرين ويخفض الطغاة ، ويخفض الظالمين ، ويخفض الباطل كَفِكْرة وتسقط ، وتُصبح في الوَحْل ولا يعتَدُّ بها أحد ، بعد أن كانت متألِّقة ، يخفض الكفار بالإسقاط وأعداءه بالإبعاد والذل .

وقيل : هو الذي خفض أهل الكفر بِعِزِّه ، وخفض أهل الكِبْر بِجلاله ، وخفض أهل الزور بإظهار تكذيبهم ، والكاذب لابُدَّ من أن يفضحه الله ؛ وحينما يفضحه ، ينسى الحليب الذي رضعه من أُمِّه . والكذب شر ولا سيما الكذب في البيع والشراء ، تجد الكاذب يُقسِم بالأيمان المُغلَّظة ، أن كُلفة هذه البضاعة يفوق هذا السِّعر ، ثم تُكشَف

الأوراق فإذا رأس ماله قليل جداً ، وقد أقسم أيماناً كاذبة ؛ فهذا الإنسان سَقَط ، سقط من عَيْن أهل الفضل والكمال .

ويخفض الله عز وجل كل خارجٍ عن شريعته مهما كان غنِياً بالمال ، أو عزيزاً بين الرِّجال . وقد ذكر العلماء أن الله الخافض يخفض من قَصُرت مُشاهداته على المحسوسات ، يعني ما آمن بالغيب ، وإنما آمن بالأشياء المادية ، والذي يراه بعينه يؤمن به ، أما الآخرة فما رآها ولذلك هو يُنكِرها ، وكذلك عِقاب الله ما رآه فأنكره . فقال : يخفض من قَصُرت مُشاهداته على المحسوسات ، وقصَر هِمَّته على ما تفعله البهائم من شراب وأكل ونكاح ، وقد خفضه إلى أسفل سافلين ، ولا يفعل ذلك إلا الله رب العالمين فهو الخافض والرافع .

أنت كمُؤمن ، ما حظك من هذا الاسم ؟ قال : من أراد أن ينال حظاً من اسم الخافض فَعَليه أن يخفض نفسه قبل أن يخفِضه الله ، اِخفِضها طواعيةً لله وتواضعاً لله .

انظر إلى الأكحال وهي حجارة لانَت فصار مَقَرُّها في الأَعْيُن

تواضع قبل أن يضعك الله ، فالتواضع عِبادة والتكبر نقيض العِبادة ؛ لذلك من أراد أن ينال حظاً من هذا الاسم فَعَلَيْه أن يخفض نفسه بالتواضع ، فَيَراها أقل من جميع العباد ، وهذا رسول الله ﷺ وقد دخل عليه رجل فارتعدت مفاصله فهوَّن عليه : عَن ابن مَسْعُودٍ قَالَ : أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَكَلَّمَهُ فَجَعَلَ تُرْعَدُ فَرَائِصُهُ فَقَالَ لَهُ : « **هَوِّنْ عَلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ** » . [رواه ابن ماجه] .

وكلما تواضعت ، رفعك الله . وهذه علاقة عكسية فكلما تكبَّرت ، خفضَك الله ، والعالم الحقيقي متواضِع ، والإنسان الذي يُعتد به متواضع . لذلك ورد في بعض الآثار : « **أحب ثلاثاً وحبي لِثلاث أشد : أحب الطائعين وحبي للشاب الطائع أشد . أحب المتواضعين وحبي للغني المتواضع أشد . أحب الكرماء وحبي للفقير الكريم أشد . وأبغض ثلاثاً وبغضي لِثلاثٍ أشد : أبغض العصاة وبغضي للشيخ العاصي أشد . أبغض المتكبرين وبغضي للفقير المتكبر أشد . أبغض البخلاء وبغضي للغني البخيل أشد** » ، فالسخاء حسن لكنه في الأغنياء أحسن . والصبر حسن ولكنه في الفقراء أحسن . والورع حسن لكنه في العلماء أحسن . والعدل حسن لكنه في الأمراء أحسن . والحياء حسن لكنه في النساء أحسن . المرأة ألزم ما يلزمها الحياء ، والعالِم يلزمه الوَرَع ، والحاكم يلزمه العدْل ، والغني يلزمه السخاء ، والفقير يلزمه الصبر ، والشباب تلزمه التوبة ؛ وما من شيء أحب إلى الله من شابٍّ تائب ، ومتى سلِم العبد من شبهة الكِبْر فكل شيء بعد ذلك يزول ويهون ، قال ﷺ « **لو لم تكونوا تُذنبون لَخِفتُ عليكم ما هو أكبر من ذلك** » . فما هو الذي أكبر من الذنب ؟ « **العُجب العُجب** » [البيهقي عن أنس] .

« **وقال ﷺ : لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبْر** »

[مسلم عن ابن مسعود]

كلما نزلت متواضِعاً إلى الله ، رفعك الله . أنا لا أعتَقد أن على وجه الأرض إنساناً أشد تواضُعاً من رسول الله عليه الصلاة والسلام ؛ كما أنني لا أعتقِد أنّ هناك من أعزه الله ورُفِع ذِكره وشأنه

كَرَسول الله ﷺ ، فَبِالقَدْر الذي تتواضع لله ترتفع إلى مراتب العُلو ، ألم يقل الله عز وجل :

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح : ٤] .

فإذا ذُكِر الله في الأذان ؛ ذُكِر معه رسول الله ﷺ .

فالتطبيق الأول : أن تخفض نفسك بالتواضع ، والتذلل ، والانصِياع ، ولِين الجانب ، ولين العريكة ، وأن ترى نفسك واحداً من الناس ، لا أن ترى نفسك فوقهم . كُن واحداً منهم ، تكن سيِّدهم . أما إذا جعلت نفسك فوقهم ، يجعلونك في الحضيض . كُن واحداً منهم وبِأخلاقك الفاضلة يرفعوك إلى الأوج . سيدنا عمر رضي الله عنه أراد أن يُعَيِّن والياً فقال : أُريد رجلاً ، إن كان أميراً ، بدا وكأنه واحد من قومه ، وإن كان ليس بِأمير عليهم ، بدا وكأنه أميرهم . غيرةً وحِرصاً على مصلحة قومه .

التطبيق الثاني : أخفِضْ إبليس بِعَدم الإصغاء لِوسْوساتِه . فإذا أصغى الإنسان إلى وسْوَسَة الشيطان يكون قد رفعه . أما إذا أعرض عنه ، وسفَّه وسوسته ، وابتعد عنه ، ولعنه وأعرض عن كل ما يُلقيه في روعه يكون قد وضعه وانتصر على نفسه . فالتطبيق الثاني لاسم الخافض أن تخفِض إبليس وأعوانَه وكلَّ وسْوَساته ، وألا تُعَظم أهل المعصية ، وألا تحترِمهم احتِراماً بالِغاً ، فهل يجوز أن يشرب الخمر إنسانٌ وتستقبله وتُعانِقه ، وتُرَحِّب به ، وتثني على ذكائه وعِلمه وخِبرته ، وتجعلُه في صدر المجلس ، وهو تارك صلاة وشارب خَمْرٍ ؛ بهذا تكون قد فعلت شيئاً لا يُرضي الله ، ينبغي أن تُخْفِضه وأن تُشْعِره أنه عاصٍ لله عز وجل ، إلا في حالة واحدة وهي أن تتوقع منه

الخير فَتَتَألف قلبه بِالتكريم . فالإنسان مُقَصِّر لكنه فيه خير ، ولا يكره الحق ، وليس بعيداً عن الحق ، فَعَلى افتراض أنه مقَصِّر ورَحَّبْت به دون أن تُشعِر الناس أنه على حق ، فصار إكرامك هادِفاً ويسمى إكرام التأليف ، وهو مسموح به بِشكل استثنائي . هذا وهناك التذلل والانخفاض للوالدين ، قال تعالى : ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ .

كتب لي أخ كريم يوماً : بينما كنت في أحد مساجد دمشق ، حكاية مؤلمة ، عن أحد أقرِبائه ، وطلب مني أن أُلقِيَها على الناس لما فيها من العِبرة البالِغة ؛ فقد كان له قريبٌ عاقٌّ لِوالِديه ، وجاء مرةً لأبنائه بالموز فقالت له ابنته : إن جدتي أكلت موزةً ؛ فَمِن شدة بُخلِه دفع أمه من أول الدرج إلى آخره ، وبيَّنت له أمه أنها أكلت شيئاً فَضُل عن ابنته ، وماتت بعد ذلك بِشهرين ، وعندما وافاه الأجل بَقِيَ ميِّتاً في بيته أربعة أشهر ، دخلوا عليه بِالمُعَقِّمات وكانت الجرذان قد بدأت تأكله . شيء أليم لا يوصف ، فالله أذله إذلالاً ليس بعده إذلال . فالإنسان ربما يكون عاقاً لِوالِديه ولِمن رباه ، أو عاقاً لإنسان كبير في السن .

عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **إِنَّ مِنْ إِجْلالِ اللهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ** » . [رواه أبو داود] .

من أدعية هذا الاسم : إلهي أنت الخافض للجبارين بِقَهرِك ، المُذِلّ للمتكبرين بِجبَروتك ، المُتعالي العلي الكبير ، المتجلي بِنصرك ، وأنت نِعم المولى ونِعم النصير .

لقد آن لنا أن تتذوّق أنفسنا حلاوة اسم : الرافع ؛ لقد علمنا في القسم الأوّل من هذا البحث أنّ الجبابرة والطغاة والمتكبرين والظُلاَّم والعُتاة ؛ هؤلاء يخفضهم الله عز وجل . وأنت يا أخي المُؤمن اخفض نفسك تواضعاً لله ، واخفض أهل المعصية والفجور واخفض الشيطان وأعوانه قبل الإصغاء لِوَسْوَسَتِهم ، هذا من عمل المؤمن كما يوحي بها لنا اسم الخافض ، قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [التحريم : ٩] .

أنت تخطىء عندما تحترم إنساناً غارقاً بالمعاصي أمام أولادك ـ فالطفل بريء ـ ينظر فيرى أباه يُبَجِّل ويُكَرِّم أهل الفجور ؛ فَبهذا العمل كأنك أوْحيت لابنك أن هذه ليست معاصي ، والدليل التكريم المبالغ به لهؤلاء ، فَيَجب أن يكون لك موقف سليم .

الرفع يُقال تارةً في الأجسام الموضوعة إذا أعْلَيتها عن مقَرِّها نحو قوله تعالى :

﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ ﴾ [النساء : ١٥٤] .

الشيء المادي إذا رفعته نقول فيه : رفع ، وقوله تعالى :

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ﴾ [الرعد : ٢] .

ويُقال الرفع للبناء إذا أعليتهُ قال تعالى :

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧] .

قال تعالى : ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴾ [النور : ٣٦] .

أن ترفع : أيْ : تعلو ، وإذا عظَّمْتَ إنساناً ونوَّهْت بفضائله وذكرت شمائله فيُقال : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ ، فالمعاني متعددة ؛ معنى مادي : ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ ﴾ ، وقوله : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ ، ومعنى الإطالة : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ﴾ ، ومعنى رفعة الشأن والتنويه بالذِّكر : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ ، هذه في المنزلة . والنبي ﷺ قال : « أنزلوا الناس منازلهم » .

فإذا استقبلت أخاً مؤمناً ، وأثنيت عليه فلا مانع من باب التشجيع له والتنويه بفضْله . والإنسان المغرور والحسود هو الذي يُعَتِّم على الآخرين . فإذا تفَوّق أخ مسلم ونال شهادة عليا فعليك أن تُنَوِّه به ، وكأن تقول : هذا له أيادٍ بيضاء ، وخدمات جُلّى للمسلمين ، ومتفوّق في اختصاص مُعَيّن ، هذا إذا عَرَّفت به ، وذكرت فضائله ، يكون من باب تأليف القلوب ، النبي ﷺ ذكر ذلك :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « **أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللهِ عُمَرُ ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ ، وَأَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، أَلا وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا وَإِنَّ أَمِينَ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ** » . [رواه الترمذي] .

وصف خالداً بأنه سَيْف الله وأبا عُبيدة بأمين هذه الأمة ، وابن الزبير بحَوارِيِّ هذه الأمة ، وعمر لو كان نبي بعده لَكان ، وأبا بكرٍ بأخ ولو كان متخذاً خليلاً لاتخذه ، وما من صحابي إلا نوَّه النبي ﷺ بفضْله وبيَّن شأنه ؛ لأنّ هذا من أخلاق النبوة . فإذا كان لأخٍ لك إنجاز جيِّد ، وفضيلة مأنوسة ؛ وَنَوِّهت بفضْله ؛ فسَيَشعرُ بقيمَتِه

عندك ، وأنه محترم ؛ وهذا الفِعل من فضائل المؤمنين ، قال تعالى :

﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف : ٣٢] .

والله جل جلاله في كل كتابه الكريم لم يخاطب النبي ﷺ باسمه بل قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ [التحريم : ١] .

وقال :

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾ [المائدة : ٤١] .

ما خاطب الله النبي ﷺ إلا بِلَقَب النبوة أوالرسالة ؛ لكن ذكر اسمه في الخبر ، ففي الخبر ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ وفي الخطاب قال تعالى :

﴿ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة : ١١٠] .

وقال أيضاً :

﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى ﴾ [الأعراف : ١٤٤] .

وقال أيضاً :

﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ﴾ [مريم : ١٢] .

خاطب الأنبياء بِأسمائهم ؛ لكن النبي ﷺ ما خاطبه الله إلا بِألقاب النبوة والرسالة ، وهذا تكريم من الله تعالى لِنَبِيّنا محمد ﷺ ، قال تعالى :

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾ [الشرح : ١-٤] .

لما عَرَجَ الله بالنبي ﷺ إلى السماء ، وأراه من آياته الكُبرى ، فهذا أعلى رفْع لشأن النبي ﷺ وقدره ، قال تعالى :

﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ [النجم : ١٨] .

والرافع : هو الذي يرفع الأولياء وينصرهم على الأعداء . ويرفع الصالحين إلى أعلى عِلِّيين ، ويرفع الحق ، ويرفع المؤمنين بالإسعاد ، ويرفع الأولياء بِالتقريب والنصر ، وكل من تولاه حقاً وعدْلاً ، والرافع من تجلّى باسمه الرافع فَرَفَع السماء بِغير عَمَد . إذاً الرفع مادي ومعنوي ؛ يرفع السماء بِغير عمد ، ويرفع ذِكر رسول الله ﷺ ، فعندما يستقيم الإنسان ويُخلِص لله عز وجل ، تصبح له مكانة كبيرة في المجتمع ، تفوق مرتبته العِلمية واختصاصه وحِرفَته ، فالعلماء قديماً كان أحدهم نجاراً ، والآخر قصاباً ، ومن ثمّ أصبحوا ذوي مكانات رفيعة القدر في المجتمع ، فقد كان الشيخ بدر الدين الحسني إذا غَضِب يغضب لِغَضْبته مِليون إنسان لا يسألونه فيم غَضِب .

والرافع من تجلّى باسمه الرافع فرَفَع السموات بِغير عَمَدٍ ورفع الغَمام على مَتْن الهواء ورفع الطيور في الفضاء ، قال تعالى :

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴾ [الملك : ١٩] .

والرافع : هوالذي رفع مقام الأولياء في الحياة ؛ بِخُضوع القلوب لهم ، وما أخلص عبْد لله ، إلا جعل قلوب المؤمنين تهْفو إليه بِالمودَّة والرحمة ؛ فهذا رفع ، فهناك إنسان لا أحد يلتفت إليه ، لا تتمنى دعْوته ، ولا الجلوس معه فهو منبوذ ، ملعون ، مُبْعَد ، أما المؤمن

فبإخلاصه لله وإقباله عليه واستقامته على أمره يخلق الله مَوَدَّة له في قلوب الآخرين له . إذا أحب الله عبداً أودع في قلوب العباد محبته ، وهذا معنى قوله تعالى :

﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ أيْ أحبك الخلق بِحُبي لك ، فالله سبحانه وتعالى هو الرافع .

أقسِم بالله! ولا أحنث إن شاء الله ، ما من أحد يطيع الله كما أراد ، ويُخلص للهِ عز وجل كما يحب إلا رفع الله ذِكره ؛ وفي كل شؤون حياته وهو من إكرام الله تعالى ، وكافأته بعض الردود الإلهية الكريمة على إخلاص المؤمنين واستقامتهم ، فالرافع : المُدَبِّر لشؤون خلقه ؛ يرفع من تولاه إلى أُفُق المقربين ، كما يخفض من عصاه إلى أسفل سافِلين . يرفع شأن المستضعفين . لما خافت أم موسى عليه السلام أن يُذبح ابنها موسى وألْقَته في اليَم بأمر الله عز وجل فالتقطه آل فرعون ورباه فرعون في بيته ، ما من طفلٍ كان يولد في بني إسرائيل إلا ويذبح ، إلا هذا الطفل فقد أراد فرعون أن يقتل كل أبناء بني إسرائيل ، لأنه رأى في الرؤيا أن طفلاً منهم سَيَقضي على مُلْكِه ، والطفل الذي سَيَقضي على مُلْكِه رباه في قصره وهو لا يشعر ، قال تعالى :

﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ [القصص : ٨] .

واللام هنا لام المآل أو لام العاقبة وليست لام التعليل .

فالرافع يرفع من تولاه إلى أُفق المقربين ، كما يخفض من عصاه إلى أسفل السافلين ويرفع شأن المستضعفين ، قال تعالى :

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ [القصص : ٤ـ٥] .

كم من مستضعف ، علاَ شأنه ، وتألّق نجمه ، وارتفع مكانه ؟ وكم من فقير صار غَنِياً ؟ وكم من مستضعفٍ صار قوياً ؟ وكم من مهمَلٍ صار ذا شأنٍ ؟ .

ولقد وردَت مادّة الرفع في القرآن الكريم في مواضِع عِدة ؛ ومن أبرز هذه المواضع قوله تعالى :

﴿ ۞ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] .

وقوله :

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام : ٨٣] .

وقوله :

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأنعام : ١٦٥] .

فهناك مجند ، وهناك رئيس أركان ، وهناك ممرض وطبيب ، وهناك معلّم بِقَرية وهناك أستاذ جامعة ، كما يشاهد بائع مُتَجوّل وهناك رئيس غرفة تجارة ؛ ورفع بعضكم فوق بعض درجات . فإذا رفعك الله تعالى فيجب عليك أن تشكره على هذه الرِّفعة ، وينبغي أن تُوَظّفها في طاعة الله . وقال تعالى :

﴿ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام : ١٦٥] .

وقال :

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [آل عمران : ٥٥] .

وقال تعالى :

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾

[مريم : ٥٦ـ٥٧]

إذا تجلّى الله على قلب المؤمن بنور اسمه الرافع رفَعَ ذلك النورهذا المؤمن إلى العُلا الأعلى فَصَار مُرْتَفِعاً في الأكوان ، وإذا تجلّى الله على قلب المؤمن بنور اسمه الرافع جعله مُتَألّقاً كالكوكب الدُرّيّ ، وهذا الإنسان المؤمن لا ينظر إلى ما في أيدي الناس ؛ بل يرفع هِمَّته إلى الله عز وجل .

وبعد فإنّ اسم الرافع : من ألْصق الأسماء بحياة المؤمن لأنَّ حياة المؤمن بعد أن يمتحِنه الله تُصْبِح سلسلة إكرامات ، والمؤمن كما قلت في أبحاث سابقة يمُرُّ بأطوارٍ ثلاثة : طَوْر يُؤَدَّبُ فيه على تقصيره وبعض مُخالفاته ، وطَوْرٍ يُبْتلى فيه ويُمتحن ؛ فإذا نجح في الطورين بلغ طور التكريم وأظن هذا يناله في الدنيا أو في الآخرة : وهذا معنى قول الله تعالى :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٧] .

نصيب المؤمن من اسم الرافع أن ينال كل مؤمن طائع له ومُخلِص له من فضله تعالى الرفعة وعلوّ المنزلة والتكريم كما ينال منه أيضاً القرب والدنوّ ، وأيّةُ آية يختص بها النبي عليه الصلاة والسلام فلكل مؤمن منها نصيب بِقدْر إخلاصه وطاعته كما قال ذلك بعض العلماء ، انظر في قوله تعالى : ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ من معانيها : أن كل مؤمن يقتدي بِرسول الله ﷺ ، ويقتفي أثره ، ويتبع سنته ، يناله شيء مما نال النبي ﷺ من رِفْعة شأنٍ ، وعلُوِ قدْر وسيرة العلماء العاملين الصالحين الصادقين والمخلصين في التاريخ الإسلامي تُؤكّد هذه الحقيقة .

وبعد فإنّ من أدعية هذا الاسم : إلهي تجَلَّيت باسمك الرافع ؛ فرَفعْت قدْر أنبيائك وأولِيائك ، أظهرت لهم المعجزات ، وأبْرَزت لهم الكرامات ، فَعَظَّمتهم القلوب ، ورفَعْتَ أعمالهم إليك بِالقبول ، ورفَعْتَ لهم أرواحهم بالوصول ، ورفَعتَ هِمَّتهم فَلَم يطلبوا سِواك ، لأن عيون أرواحهم تراك ، فاجعل لنا أوْفر حظ من نور اسمك الرافع ، حتى يُرفع شأننا فَنَرْفع أحبابك .

هذه بعض أدعية اسم الرافع ، ونرجو ربنا أن نكون عند حُسْن الظن بنا وأن نستحِق أن يرفعنا الله عز وجل رَفْعاً مادِياً ومعنوِياً حتى نقطف ثِمار الإيمان الحق الذي هو في الحقيقة التِزام واستِقامة ومؤاثرة .

* * *